موقف مصر في الثورة العراقية 1958

د/جبران اسكندر رفيق
العراق – جامعة الانبار – كلية الآداب
قسم التاريخ

الملخص

يحاول هذا البحث تقديم دراسة تاريخية عن دور مصر في الثورة العراقية عام 1958 ، وتحديدا مع بداية قيام ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 وتوجهاتها القومية ومساندتها لكل الحركات والاحزاب الوطنية التواقة الى التحرر من سيطرة القوى الكبرى وبخاصة البريطانية والفرنسية والوصول الى الاستقلال الوطني .

أولت مصر العراق واحزابه والقوى الوطنية في القوات المسلحة اهتماما كبيرا وصل حد الدعم المباشر وغير المباشر عبر التواصل معهم والتعهد بالدعم على كافة المستويات حال قيام الثورة ضد النظام الملكي واسقاط حلف بغداد . وعند قيام الثورة في 14 تموز 1958 كان لمصر دورا كبيرا فيها من خلال الدعم السياسي والدبلوماسي ومن ثم العسكري والاجتماعي والثقافي .

وأخيرا أرجو ان اكون قد أوفيت البحث حقه وأسهمت بجهد متواضع في توثيق هذا الدور القومي المهم لمصر خلال مرحلة الخمسينات من القرن الماضي .

Summary

This research is trying to present a historical study on the role of Egypt in the Iraqi revolution of 1958, specifically with the beginning of the revolution of July 23, 1952 national and orientation and support for all movements and parties and national yearning to be free from the control of the major powers, particularly the British, French, and access to national independence..

Egypt has given Iraq and its parties and national forces in the armed forces much attention arrived direct and indirect support through the end of communication with them and pledge support at all levels if the revolution against the Royal Regime and topple the Baghdad Pact.

When the Iraqi revolution broke out in the July 14, 1958 Egypt had a big role in which through political and diplomatic support and military, social and cultural.

Finally, I hope I have made a good research and contributed to the documentation of national important role for Egypt in the fifties of the last century.

المقدمة

أحدثت الثورة المصرية في 23 تموز/ يوليو 1952 تغيرا جوهريا في حياة البلاد العربية في ظل سيطرة الاوساط الاستعمارية والرجعية العربية ، لكن المشروع الذي قادته الثورة المصرية تجاه الامة العربية جعل الشعب العربي والوطنيون منهم يعملون بجهد كبير وتنسيق عالي نحو نيل الاستقلال والتخلص من الهيمنة الاستعمارية المتمثلة بالحكام المرتبطين بالدول الغربية ، فكان لهذه الثورة اثر واضح على الشعب العراقي وبالتحديد ضباط الجيش العراقي الذين شكلوا تنظيمهم الثوري مسترشدين بما قام به تنظيم الضباط الاحرار في مصر في مرحلة خطيرة حينما وصل التنافس المصري العراقي الي مرحلة كبيرة بعد ان دخل العراق حلف بغداد ، لكن الاحداث التي مرت بها مصر من المواجهة مع الغرب في عملية بناء السد العالي وصفقة السلاح عام 1955 وحرب 1956 والوحدة مع سوريا عام 1958 قد أثرت في الشعب العراقي تأثيراً مهماً واصبح للرئيس جمال عبد الناصر وثورته مكانة كبيرة ، فكانت لمصر الريادة والتنسيق مع الضباط الأحرار العراقيين من أجل قيام ثورة 14 تموز/ يوليو 1958 ، وجرت اتصالات عديدة وفي اوقات مختلفة من اجل تأمين موقفها تجاه الثورة والوقوف ضد اي تدخل اجنبي تواجهه الثورة عند قيامها . وقد توزعت الدراسة على ثلاثة محاور أولها تأثير ثورة 23 تموز / يوليو 1952 على العراق أما المحور الثاني فقد تناول اتصالات الضباط الأحرار بالقيادة المصرية في حين جاء المحور الثالث عن موقف مصر من قيام الثورة .

تأثير ثورة 23 يوليو/تموز 1952 على العراق

أثرت ثورة 23 تموز/ يوليو 1952 تأثيراً واضحاً على الشعب العراقي وأحزابه وتنظيماته السياسية والعسكرية . فمجرد قيام هذه الثورة بادرت الأحزاب السياسية في العراق بالمطالبة بالإصلاح الجذري الشامل لنظام الحكم . ففي 28 تشرين الاول / اكتوبر 1952 قدم الحزب الوطني *، وحزب الاستقلال *، وحزب الجبهة الشعبية المتحدة *، مذكرة إلى الوصي عبد الاله * انتقدت فيها الأوضاع القائمة وطالبت بالتغيير الجوهري (1). والحقيقة أن مذكرة الأحزاب هذه كانت نقطة تحول هامة في اتجاهات الأحزاب السياسية في العراق من خلال ما تقدمت به في من مطالب جريئة لم يسبق لها أن نادت بمثلها في أي وقت مضى ، وعزت المذكرة تردي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد إلى خضوع العراق للسلطات البريطانية بعد انهيار ثورة مايس / مايو 1941 وما رافق هذا الاحتلال من إرهاب تركز فيه النفوذ البريطاني والحكم العراقي والإدارة البوليسية (2). مما أدى إلى تأزم الوضع الداخلي وبدأ قلقاً شديداً يسيطر على الحكومة العراقية بعد قيام ثورة 23 تموز / يوليو في مصر (3).

تحت هذا الضغط دعت الحكومة رؤساء الأحزاب ورؤساء الوزراء السابقين إلى اجتماع في البلاط الملكي ومقابلة الوصي عبد الاله وسمي هذا الاجتماع (بمؤتمر البلاط) أو (اجتماع البلاط) والذي عقد يوم 3 تشرين الثاني / نوفمبر 1952 برئاسة الوصي (1). وخلال الاجتماع أشار طه الهاشمي * ، رئيس الجبهة الشعبية المتحدة ، إلى أن الأسباب التي أدت إلى الثورة في مصر موجودة في العراق وإذا كانت العوامل متشابهة فلابد أن تكون النتائج واحدة ، وأن القضية قضية وقت إذا لم تجر الإصلاحات بصورة جدية في العراق (2). الأمر الذي يمكن عده تحذيراً واضحاً وصريحاً من قبل أحد زعماء الأحزاب إلى الوصي عبد الاله والحكومة العراقية للقيام بالإصلاحات ودلالة واضحة على مدى تأثير ثورة مصر على أوضاع العراق . أدى حديث طه الهاشمي إلى غضب الوصي وفشل الاجتماع مما حدى بالأحزاب الأخرى إلى تقديم احتجاجات إلى رئاسة الديوان الملكي

أعلنت فيها استنكارهما الشديد لما جرى ويجري في البلاد (3). وفي هذا الجو المشحون عدلت عمادة كلية الصيدلة والكيمياء نظامها التدريسي مما أدى إلى احتجاج الطلبة على هذا التعديل واعتبروه مجحفاً وأعلنوا في يوم 26 تشرين الثاني / نوفمبر 1952 إضرابهم عن الدراسة لأجل غير مسمى احتجاجاً على إجراء هذا التعديل (4). استغلت الأحزاب السياسية ومنظمات الطلبة هذه الأحداث وحرضت طلاب الكليات والمدارس الأخرى على التظاهر ووقعوع اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة بلغت ذروتها يوم 22 تشرين الثاني / نوفمبر 1952 ، وكان التماسك قوياً بين القوى الوطنية في هذه الأحداث بعد أن انضمت إعداد كبيرة من الجماهير للمظاهرات التي سيطرت على الشوارع في أنحاء بغداد وانهزمت الشرطة في أكثر من مكان رغم استخدامها الأسلحة النارية واطلاقها على المتظاهرين بعد رفعهم الشعارات المنددة بالنظام الملكي وهتافاتهم بسقوط الملكية (1).

كان التنديد بالنظام الملكي والمناداة بسقوطه في العراق جاء نتيجة تأثير ثورة 23 تموز / يوليو 1952 على الجماهير والأحزاب في العراق وهذا ما أكده كامل الجادرجي * زعيم الحزب الوطني الديمقراطي عندما ذهب إلى ((أن سقوط فاروق في مصر وزوال النظام الملكي كان له أثر كبير في هذا الاتجاه المعادي للملكية في العراق)) (2). لاسيما أن هذه الانتفاضة حدثت بعد قيام الثورة المصرية بأربعة أشهر، ونظرت إليها الصحافة المصرية على إنها حركة ترمي إلى التحرير والقضاء على الفساد وشبهتها بما حدث في مصر ، وقد حاول بعض المصريين القيام بمظاهرات لدعم الانتفاضة العراقية ولكن الحكومة المصرية رفضت ذلك خشية أن يعد ذلك تدخلاً في شئون العراق الداخلية (3) .

في هذا الوقت اهتمت الصحف المصرية بالمقارنة بين سوء الأوضاع في مصر الذي قادة قيام الثورة والإطاحة بالنظام الملكي فيها وبين سوء الأوضاع في العراق وما يمكن أن تقود إليه وتنتهي به ، وكانت تلك الإيماءات تنطوي على تحذير للفئات الحاكمة والنظام الملكي في العراق إذا ما استمرت سياسة تجاهل المطالب الشعبية وعدم التجاوب معها (4).

وكان تأثير الثورة المصرية واضحاً في نفوس الضباط العراقيين ، حيث أثارت أحاسيسهم وهزت مشاعرهم (5). وإعادة الثقة إلى نفوسهم وقضت على الخوف والتردد بينهم ، حتى أن قيام رجب عبد المجيد *

بمفاتحة رفعت الحاج سري* في إقامة تنظيم للضباط الأحرار في العراق على غرار تنظيم الضباط الأحرار في مصر وجده يفكر في الموضوع نفسه (1). لهذا أخذ تنظيم الضباط الأحرار في العراق إطاره الواضح في نهاية ذلك العام (2). وعلى غرار ما حدث في مصر حيث جرى إطلاق اسم الضباط الأحرار على التنظيم في العراق تقوده هيئة عليا تصبح مجلس قيادة الثورة بعد نجاح الثورة المنتظرة كما هو الحال في مصر وكما استند التنظيم المصري إلى ضابط كبير يحمل رتبة عالية هو اللواء محمد نجيب ليكون واجهة للتنظيم ، وفي العراق فكر الضباط الأحرار باسناد رئاسة التنظيم وزعامة الثورة إلى ضابط كبير ورشحوا لذلك كلاً من الفريق الركن محمد رفيق عارف والفريق الركن نجيب الربيعي واللواء الركن غازي الداغستاني ـ وكما تم الاتفاق بين أعضاء التنظيم المصري على الإخلاص المطلق لأعضاء التنظيم وعدم التنكيل ببعضهم ، فقد اتفق اعضاء التنظيم العراقي على مثل هذا المبدأ ولكن لم يطبقوه كذلك كان الاهتمام بالإصلاح الزراعي في مصر والعراق واعتباره جوهر التغيير المنتظر واهم أهداف الثورتين (3).

أما السلطة الرسمية العراقية فكانت تعادي الثورة المصرية ورئيسها جمال عبد الناصر* ، وقد زاد في هذا العداء تبني رجال الثورة في مصر فكرة القومية العربية والدعوة لها وتوجيه سياسة الدول والأقطار العربية نحو الاعتماد على نفسها وحصر التعاون فيما بينها ووجوب انتهاجها سياسية الحياد بين التكتلات الدولية ومنعها من الدخول في الأحلاف الاستعمارية ، وهذا ما كان يتنافى وسياسة حكومة العراق الملكية التي انساقت وراء سياسة البريطانيين والأمريكان في الانضمام إلى الأحلاف والتكتلات الأجنبية (1).

حاولت الحكومة العراقية عزل الشعب العراقي على ما كان يجرى في مصر من إحداث خاصة أن الثورة في مصر قامت ضد نظام ملكي يشبهه النظام الموجود في العراق ، فخشيت الحكومة العراقية أن تصبح الثورة ظاهرة عامة في الوطن العربي وتنتقل عدواها إلى العراق لذا قامت الحكومة العراقية بعملية تعتيم إعلامي على كل ما جرى في مصر كما قامت دوائر وزارة الخارجية العراقية بالتزام الصمت إزاء الثورة المصرية ولم تبد رأياً فيها (2).

في الوقت الذي كانت تناضل فيه مصر من أجل إثبات استقلالها عن الغرب بحرارة متصاعدة ، في الوقت الذي كان العراق يقيم فيه رابطة عسكرية جديدة مع الغرب بينما كان الدور البارز الذي قام به عبد الناصر في مؤتمر باندونغ في عام 1955 ، وعقده لأول صفقة سلاح مع المعسكر الشرقي (3) كان نوري السعيد * يفاوض لربط العراق بالغرب في حلف عسكري موجه بكل صراحة ضد الاتحاد السوفيتي وكان موقف مصر ومعها العناصر الناقمة

على الغرب وسياسته عنيفاً جداً في مقاومة الحلف والتنديد بعقده (1). لهذا ساءت العلاقة بين مصر والعراق .وعلى أثر تأميم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس راح الامير عبد الاله يحرض البريطانيين علـى العمأل العسكري ضده قائلاً ((إذا لم يسقط جمال عبد الناصر في وقت قصير جداً .. سوف يعم الشرق اضطراب لا سبيل إلى علاجه))(2). ولهذا كان إخلاص نوري السعيد في الوقوف إلى جانب مصر ساعة الخطر إبان أزمة السويس 1956 إخلاصاً مشكوكاً فيه (3). في حين كانت الحركة الوطنية تحشد الجماهير للتأييد قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، وأعلنت يوم 16 آب / أغسطس 1956 (يوم مصر) فعم العاصمة ومدن العراق الأخرى الإضراب عن العمل ، رافقته المظاهرات في شوارع بغداد ، وعلى ضوء ذلك أصدرت حكومة نوري السعيد مرسوم الطوارئ لسنة 1956 ومنحت لنفسها فيه سلطات واسعة النطاق للتعامل مع جميع الشؤون الداخلية (4).

وحين بدأ العدوان الثلاثي الإسرائيلي البريطاني الفرنسي على مصر انفجر العراق كله غاضباً وازدحمت شوارع مدنه بالمظاهرات الصاخبة وعندها ردت حكومة نوري السعيد بإعلان الأحكام العرفية متذرعة (بخطورة الأوضاع في مصر ، وحماية مؤخرة القوات العراقية المساعدة للأردن) لكنها لم تساند مصر في صدها للعدوان واكتفت بوصفه بانه (غير عادل وغير منصف) (5). فلم تتوقف انتفاضة الشعب العراقي ولم تقتصر على العاصمة بغداد بل وامتدت إلى غالبية مدن العراق الموصل والبصرة والنجف الأشرف والكوت والحلة وكربلاء والرمادي وعانه ، وسقط في النجف قتلى وجرحى برصاص الشرطة ، فيما اسفرت الانتفاضة عن تطور جديد في العمل السياسي الوطني حيث اتفقت الأحزاب السرية والعلنية (الملغاة) في شباط / فبراير 1957 عن تشكيل جبهة سرية أسمها (جبهة الاتحاد الوطني) وضمت الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي وحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال (6).

قامت الوحدة بين مصر وسوريا في 21 شباط / فبراير 1958 كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر النظام الملكي العراقي بينما ابتهج الشعب العراقي بهذا الإنجاز الوحدوي الكبير ومنعت الحكومة العراقية الصحف من نشر برقيات التأييد والتهنئة (1) وأعلنت عن قيام الاتحاد العربي الهاشمي وهو اتحاد قام بهندسته نوري السعيد رداً على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، لكن ثمة عامل أساسي فاصل آخر هو أن الاتحاد بين مصر وسوريا عد خطوة تقدمية أصيلة في الطريق إلى القومية العربية ، في حين عد الاتحاد بين العراق والاردن في أفضل الأحوال امتزاجاً عائلياً داخل بيت ملكي غريب مكروه ، وفي أسوء الحالات عد مناورة امبريالية مقنعة بقناع الفضيلة(2). وعلى أية حال فقد جاء قيام الاتحاد الهاشمي وسيلة لمقاومة الاتجاه الوحدوي وتضليل الجماهير وتأمين مستقبل الأسرة الهاشمية ، وقد وصلت أزمة الثقة بين الشعب بمنظماته وأحزابه وبين الهيئة الحاكمة ممثلة بالبلاط ونوري السعيد عام 1958 حد اللاعودة وكان لإذاعة صوت العرب في مصر أثر فعال في إثارة الحماس وتحريض الجماهير في العراق وتعبئتها ضد الحكم القائم (3).

اتصالات الضباط الأحرار العراقيين بالقيادة المصرية

يعود اتصال الضباط الأحرار العراقيين بالجانب المصري إلى عام 1953 حيث يذكر إسماعيل العارف * ((جرى عام 1953 تمرين واسع النطاق في شمال العراق بمنطقة (راندوز) ودعيت إليه وفود أجنبية وعربية . وقد عينت مرافقا للوفود العربية وكانت مصر ممثلة في وفد يضم ثلاثة ضباط هم المقدم محمد البديوي والمقدم زكريا العادلي والمقدم جمال حماد الذي كان يشغل منصب الملحق العسكري في سوريا والعراق .. وخلال أحاديثنا سألني جمال حماد هل هناك أمل في قيام الجيش العراقي بثورة عسكرية ، وهل هناك محاولة لخلق تنظيم للضباط على غرار تنظيم الضباط الأحرار المصري ليقوم بمثل ما قام به في مصر ويسقط الحكم الملكي في العراق . ولما لم أكن قد ناقشت الموضوع مع زملائي تريثت في اجابته)) ويضيف العارف قائلاً ((بعد أن تعززت الثقة بيننا نوهت له بأن في الجيش حركة ستطيح بالنظام القائم ، فعرض علي آنذاك نيابة عن الثورة المصرية مساعدة مصر الكاملة لأي عمل يقوم به الجيش العراقي ضد الحكم الملكي واستعدادهم لمعاونة الثورة بكل ما تيسر من معونة)) (1).

ويوضح إسماعيل العارف بأنه قد أخبر المقدم رفعت الحاج سري بما دار مع المقدم جمال حماد وتمت مناقشة هذا الموضوع بحضور رفعت وبعض الأعضاء الآخرين وتقرر الاتصال بجمال حماد عند عودته إلى بغداد ، وفعلا تم مقابلته في دار المستشار المصري في الوزيرية وبصحبتة رفعت الحاج سري وتم اخباره بوجود تنظيم في الجيش يسعى للقيام بثورة وإسقاط النظام الملكي . أجاب حماد أنه أوصل الخبر مقتضباً إلى جمال عبد الناصر وأن القيادة المصرية تؤكد استعدادها لدعم الثورة العراقية المقبلة وأنها جاهزة لحماية الضباط ومعاونتهم بكل ما لديها من إمكانيات (2).

بعد عام 1957 وجدت اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار نفسها في حاجة كبيرة إلى طلب المساعدة والعون من الجمهورية المصرية لضخامة حجم القوى المعادية لها فحاولت الاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر قبل القيام بالثورة لاستطلاع رأيه في ذلك . وتم الاتفاق على أن يقوم رجب عبد المجيد بالاتصال بصديق شنشل * ويكلفه بالحصول من المسئولين في الجمهورية العربية

المتحدة على أجوبة واضحة عن بعض الأسئلة منها ما هي المساندة المعنوية والسياسية التي بإمكان الجمهورية العربية المتحدة أن تقدمها لهم قبل تنفيذ الثورة ؟ وما هي المساعدة المادية التي يامكانها أن تقدمها لهم بعد تنفيذ الثورة ؟ وإذا قامت الدول الغربية ودول حلف بغداد بعمل عسكري لإجهاض الثورة فما هو موقف الجمهورية العربية المتحدة من ذلك وما هو موقفها في حالة فشل الثورة في العراق؟ (1).

التقى صديق شنشل بالرئيس عبد الناصر في شهر شباط / فبراير 1958 في بيته بمنشية البكري وقال له هناك حركة لضباط أحرار في الجيش العراقي بيني وبينهم صلة وثيقة فقط وليس ارتباط تنظيمي وهؤلاء ينوون القيام بثورة في العراق ويهمهم أن يعرفوا ماذا يمكن لمصر أن تقدمه بعد نجاح الثــورة فــي سبيل دعم الوضع والحيلولة دون التعرض للخطر من قبل دول حلف بغداد وماذا تنصح القائمين (2). فكان جواب عبد الناصر : ((أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لبذل كل مساعدة سياسية والاعتراف فوراً بحكومة الثورة وأن الدول الغربية قد تلجأ إلى عمل ما لوأد الثورة في مهدها مستفيدة من بنود ميثاق بغداد وفي هذه الحالة فأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بإرسال كل مساعدة مادية ممكنة وأنها ستطلب من الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية تأييد حكومة ثورة العراق ، وأنها ستقوم بتكديس كل ما يمكن من الأسلحة والاعتدة في الإقليم الشمالي(سوريا) لمساعدة حكومة ثورة العراق ، أما في حالة فشل الثورة فأن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لفتح باب اللجوء السياسي لكل من يرغب في ذلك من القائمين بالثورة))(3). وتم أخبار أعضاء اللجنة العليا بأجوبة جمال عبد الناصر ، وفعلاً قامت الجمهورية العربية المتحدة ، بتنفيذ ما تعهدت به بعد نجاح الثورة .

سبق هذا الاتصال بالرئيس عبد الناصر اتصال آخر قام به عبد الكريم قاسم عندما أصبح رئيساً للجنة العليا للضباط الأحرار بأن أرسل السيد رشيد مطلك في شهر تموز/ يوليو 1957 للاتصال بالسيد حسين جميل * وتكليفه بالسفر إلى القاهرة والاتصال بالرئيس عبد الناصر والاستفسار منه عن موقفه من تنظيم الضباط الأحرار وعن الثورة التي يسعى إلى تفجيرها وكذلك عن المساعدة والعون التي يقدمها في حالة حدوث الثورة . وبالفعل اتصل السيد حسين جميل وأخبر الرئيس عبد الناصر بما طلب منه فكان جواب الرئيس عبد الناصر بأنه سوف يقدم للثورة كل عون ومساعدة تحتاج إليها إذا نجحت ، أما إذا فشلت المحاولة فانه سوف يمنح القائمين بها حق اللجوء السياسي فقط (1). وأضاف الرئيس جمال عبد الناصر أنه إذا قامت الثورة واستولت على السلطة فلن يقع تدخل من دول الغرب أو حلف بغداد أو المملكة الأردنية الهاشمية ضد نظام الحكم الجديد ، لأن الغرب يهتم بمصالحه بالدرجة الأولى وقلما يهتم بالصداقة والأصدقاء فإذا تم التخلص من الملك والوصي ونوري السعيد فسيحاول الإنكليز وغيرهم تقوية علاقاتهم مع الحكام الجدد لضمان مصالحهم معهم (2). أوصل حسين جميل هذا الجواب إلى رشيد مطلك الذي أوصله بدوره إلى عبد الكريم قاسم .

من الجدير بالذكر أن عبد الكريم قاسم لم يبلغ أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار باتصاله مع الرئيس عبد الناصر في شهر تموز / يوليو عام 1957 الأمر الذي يدلل على روح الانفراد بالسلطة عند عبد الكريم قاسم قبل الثورة ، لأن اللجنة العليا لو كان لديها العلم بهذا الاتصال لما كلفت صديق شنشل بالاتصال بالرئيس عبد الناصر مطلع عام 1958 .

يذكر محمد حسنين هيكل بأن عبد الناصر روى لخروشوف * بعد نجاح ثورة 14 تموز / يوليو بأن عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اتصل بالسراج * قبل عام من الثورة عندما كانا يخدمان في اللواء الموجود في الأردن وقد اجتمع الثلاثة في (الرمثا) على الحدود السورية حيث

طلب الاثنان من السراج أن يبلغ الرئيس عبد الناصر رسالة مفادها أن هناك حركة ضباط أحرار في الجيش العراقي مماثلة للحركة التي يقودها في مصر وقد أراد أن يعرفا نوع العون الذي يستطيع عبد الناصر تقديمه وما إذا كانت مصر تستطيع المساعدة في التخطيط للثورة . وقد أبلغ الرئيس عبد الناصر رسالة إلى السراج ذهب فيها إلى أن ضباط العراق إذا كانوا جادين حتماً فإن عليهم حفظ الأمر سراً حتى عنى ، وأننا لا نستطيع أن نساعدهما بخطة ما لأن الخطة لا يمكن أن يضعها إلا أولئك الذين سيقومون بتنفيذها ، كما يجب عليهما أن لا يعتمدا على عوننا ، فإنا لم اطلب عون أي كان من أجل ثورة 23 يوليو/ تموز وعلى الثوري الحقيقي أن يعتمد على مصادره الخاصة ويجب أن لا يحاول أن يعلق أعماله وإجراءاته على عون من الخارج (1).

وذكر لي الدكتور حسين أمين في مقابلة معه بتاريخ 25 تيسان / إبريل 2009 أنه كلف من قبل أحد أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار أن يتصل بشقيق عبد الناصر (الليثي) ، بحكم العلاقة التي تربطه به منذ أيام الدراسة في كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ويخبره أن هناك ثورة سيقوم بها الجيش العراقي ضد الحكم الملكي ويطلب مساعدة ومساندة مصر للثورة وفعلا تم إيصال هذه المعلومات إلى شقيق عبد الناصر التي وصلت إلى عبد الناصر من خلاله(2).

من خلال ما تقدم من اتصال بين الضباط الأحرار في العراق والقيادة المصرية نرى بانها قد شجعت في إنجاح الثورة لوجودها كطرف مهم مستعد للوقوف إلى جانب الثوار في العراق والبلاد العربية ودول العالم الثالث .

موقف مصر من قيام الثورة

كانت الجمهورية العربية المتحدة في مقدمة الدول العربية التي اعترفت بثورة 14 تموز/ يوليو 1958 والحكومة التي اقامتها . وجاء الاعتراف عقب ، أرسال مجلس السيادة العراقي بعد ثلاث ساعات من قيام الثورة برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر تعلن اعتراف العراق بالجمهورية العربية المتحدة (1).

ومن الواضح أن قادة الثورة كانوا يأملون من الجمهورية العربية المتحدة الدعم ضد أي عمل قد تقدم عليه حكومات الدول الغربية أو حكومات ميثاق بغداد ، وفي اليوم نفسه قابل فؤاد عبد المفتي القائم باعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد عبد الكريم قاسم وسلمه برقية عبد الناصر والمتضمنة باعتراف الجمهورية العربية المتحدة بالجمهورية العراقية متمنيا لها التوفيق في خدمة العروبة وسلمه نص برقية عبد الناصر ((تلقيت برقيتكم التي تتضمن الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة وفقكم الله لما فيه خير العروبة)) (2).

كان الرئيس عبد الناصر في زيارة الي يوغوسلافيا وفي جزيرة بريوني ولما سمع الخبر في صباح ذلك اليوم ، طلب من نائبه في القاهرة عبد الحكيم عامر * إعلان حالة التأهب القصوى في صفوف الجيش المصري ومتابعة الاشارات التي سوف تصدر من الباخرة (الحربية) التي اقلته الي يوغوسلافيا ، وبعدها وصل الي سمعه نبا انزال القوات الامريكية في لبنان ، فكتب عبد الناصر بيانا لاذاعته من محطة القاهرة جاء فيه ((أن احتلال القوات الامريكية للبنان يشكل خطرا على السلم في الشرق الاوسط ويعتبر تهديدا للاقطار العربية التي رفضت ان تخضع للاستعمار، وصممت ان تتبع سياسة مستقلة ... وأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعي العربي ، وأن اي عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة)) (3).

كان نبأ الثورة في العراق قد انفجر في سماء عالم عربي يمزقه الانقسام ، حيث كانت لبنان والاردن على شفاه الثورة ، وكان الملك سعود الذي افزعته الوحدة المصرية السورية قد دفع مليونين جنيه استرليني لافشال هذه الوحدة ، وكانت المنطقة بأثرها في حالة غليان وبدأ الشرق على وشك الانفجار (1).

قطع عبد الناصر زيارته الي يوغوسلافيا وتوجه سراً وعلى الفور الي موسكو حيث اجتمع فور وصوله بالرئيس السوفيتي خروشوف في السادس عشر والسابع عشر من تموز/ يوليو 1958 ، ليتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي من الثورة ومدى استعداده للمساعدة اذا ما تدخلت الدول الغربية ضدها (2). وسعى للحصول على ضمانات من السوفيت للحيلولة دون قيام تحركات غربية ضد العراق والاقليم الشمالي واصدار انذار الي الغرب مثلما فعل عام 1956 ولكن خروشوف رفض ذلك ولم يحصل عبد الناصر سوى على وعد باجراء مناورات على الحدود البلغارية التركية ، وفعلا كانت القيادة السوفيتية قد اصدرت اوامرها لاربع وعشرين فرقة ببدء المناورات واذاع راديو موسكو صباح يوم 18 تموز/ يوليو بيانا يفيد ان جيش القوقاز وتعداده نصف مليون جندي يقوم بمناورات ضخمة على الحدود (3).

عاد الرئيس جمال عبد الناصر الى دمشق في 18 تموز/ يوليو 1958 ومروراً بسماء بغداد حيث بعث برقية تهنئة الى زعماء الثورة الذين اقترحوا عليه الهبوط في بغداد لكنه اعتذر عن ذلك قائلاً ان هذا اليوم هو يوم فرحة العراقيين وحدهم ولا ينبغي التدخل في شؤونهم ، ثم وصل الى دمشق واعلن في خطابا له قائلاً ((ايها الاخوة انني اعلن باسمكم من هذا المكان اننا جميعاً نحمل

السلاح لندافع عن شعلة الحرية التي انتصرت في العراق)) (4). واضاف ((أن الاتحاد السوفيتي يدعمنا كليا لكننا مع ذلك نطلب السلام انطلاقا من مركز القوة وان اي اعتداء على العراق سيعتبر اعتداءاً على الجمهورية العربية المتحدة)) وأكد في خطابه ان نفط العراق لن يمس وبقاء الامتيازات على حالها (5). وذلك ليبدد مخاوف الغرب.

أوفدت حكومة الثورة العراقية يوم 14 تموز/ يوليو 1958 فائق السامرائي* أحد قادة حزب الاستقلال في مهمة سياسية وعسكرية الى القاهرة حيث اجتمع مع عبد الحكيم عامر وطلب منه وفاء الجمهورية العربية المتحدة بالتزاماتها وتزويد العراق بالأسلحة لحاجته الماسة اليها وخاصة بعد الانزال الامريكي في لبنان واستعداد القوات البريطانية للإنزال في الاردن والحشود التركية على حدود العراق الشمالية فأرسلت العربية المتحدة باخرة محملة بالأسلحة الي ميناء اللاذقية السوري ، ووصلت قاعدة الحبانية الجوية سرب طائرات مقاتلة (ميك) وكتيبة مدفعية من الاقليم الشمالي(1).

كذلك قرر مجلس الوزراء العراقي ارسال وفد لمقابلة الرئيس عبد الناصر بعد وصوله الى دمشق وتألف هذا الوفد من عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ومحمد صديق شنشل وزير الارشاد ، ومحمد حديد وزير المالية ، وعبد الجبار الجومرد وزير الخارجية ، وعدد آخر من المسؤولين ، وعند وصولهم دمشق تم استقبالهم بمظاهرات شعبية ، ثم اجتمع الوفد بالرئيس عبد الناصر (2). وتمخض الاجتماع عن توقيع اتفاقية للتعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية في المجال العسكري والاقتصادي والفني عرف باتفاق التعاون المتبادل أو اتفاق الاحرار ونص الاتفاق على ما يأتي :-

أولاً : تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانياً : التأكيد على ما اعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما ازاء الموقف الدولي وانهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد ضد اي عدوان عليهما او على اي منهما والبت فوراً في اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثاً : التعاون الكامل في المحيط الدولي للمحافظة على حقوق البلدين والمساهمة الفعالة في تأييد ميثاق الامم المتحدة وفي دعم السلام في الشرق الاوسط وفي العالم.

رابعاً : أتخاذ الخطوات العاجلة العملية لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين .

خامساً : الاتصال والتشـــاور المستمر بين البلدين في كل الشؤون التي تعنيهما (1)

ووقع هذا الاتفاق الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد الركن عبد السلام محمد عارف، ويذكر السفير البريطاني مايكل رايت نقلا عن وزير المالية محمد حديد عضو الوفد العراقي الى دمشق انه قال له (عندما قام نائب رئيس الوزراء واخرون بضمنهم وزير المالية ذاته بزيارة دمشق قبل بضعة ايام فان اتفاقا قد تم التوصل اليه بصدد بناء انبوب نفطي اضافي عبر سوريا . لقد ذكر بأنه من الضروري للعراق تأمين تصدير كمية اكبر من النفط وبسلام الى البحر الابيض المتوسط) (2).

ومن الجدير بالذكر كان لهذه الاتفاقية أثر كبير في دعم الثورة وتعزيز مواقعها حيث اطمانت حكومة الثورة بانها لن تكون وحيدة اذا تعرضت لهجوم خارجي سواء من دول حلف بغداد أم من الدول الاخرى . وتعزيزا لدور الجمهورية العربية المتحدة في مساندة ثورة 14 تموز/ يوليو وصل في الاول من اب/ أغسطس وفد من جهاز المخابرات المصري برئاسة صلاح نصر بناء على دعوة رسمية من مدير الاستخبارات العسكرية رفعت الحاج سري للمساهمة في تنظيم جهاز المخابرات العراقية ، وعمل الوفد عدة ايام متتالية في وضع مشروع المخابرات العراقية في ضوء ظروف

العراق الجديدة .. وانتهوا الى ابرام عقد نص على التعاون بين الجهازين في تبادل المعلومات وتعهدت مخابرات مصر بان تقدم للمخابرات العراقية الخبرة الفنية والمهنية اللازمة(3).

لم يقتصر الأمر على ذلك بل استقبلت القاهرة في 20 ايلول/ سبتمبر 1958 عدداً من الضباط يمثلون مختلف صنوف وخدمات الجيش لغرض الاطلاع على الامور التدريبية والتعبوية والتنظيمية في جيش الجمهورية العربية المتحدة والاطلاع على الاسلحة والمعدات التي يتسلح بها الجيش المصري من الدول الاشتراكية وكيفية استخدامها والتدريب عليها وكذلك مناقشة اسس التعبئة والتنظيم التي يتبعها الجيش المصري كما تم توقيع اتفاقية الوحدة الثقافية بين الجمهوريتين عند زيارة كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، حيث رفدت مصر العراق بالعديد من الاساتذة للتدريس في المدارس والكليات العراقية وكذلك تنظيم مراحل التعليم ووضع العناصر الاساسية للمناهج الدراسية الموحدة والعمل على النهـــوض بالتعليم الفنـــــي (1). ووقعت اتفاقيات آخرى منها التجارية والاقتصادية والفنية للاستفادة من الخبرات المصرية والعمل على البرنامج المتبع في مصر (2).

وهكذا كان لمصر دوراً مميزاً في دعم الثورة العراقية منذ ايامها الاولى وابعاد شبح التدخلات الغربية والعمل على النهوض بمؤسسات الدولة العراقية بعد الثورة.

الخاتمة

كان لقيام ثورة 23 تموز / يوليو 1952 تأثيراً واضحاً على الواقع العربي وبخاصة على العراق وقواه الوطنية والعسكرية فقد ادت القيادة المصرية دوراً مهماً وطنياً وقومياً في دعمها ومساندتها الكبيرة للقوى الوطنية العراقية ضد نظام الحكم الملكي وهذا نابع من القيم والمبادئ والاهداف التي حملتها ثورة تموز / يوليو والتي ناضلت من اجلها وتحملت اعباء كبيرة ، فقد تحملت القيادة المصرية كل تبعات النضال العربي فواجهت الاستعمار القديم المتمثل ببريطانيا وفرنسا وصنيعتهم اسرائيل في حرب عام 1956 بعد تأميم قناة السويس ، مما اشعل روح التحدي والنضال داخل النفوس العربية بشكل عام والشعب العراقي بشكل خاص الذي حفزه لمواجهة هذا الاستعمار فيما عملت القوى الوطنية المتمثلة بالاحزاب واللجنة العليا للضباط الاحرار على تحقيق الثورة واهدافها من خلال دعم ومساندة مصر ورئيسها جمال عبد الناصر لهذا العمل وان تؤدي دوراً رئيسياً في الجانب السياسي يوم أن أعلن الجيش العراقي ثورته عام 1958 حينما تم تأييد الثورة واعلان الاعتراف بها منذ الساعات الاولى لها من خلال اعلان وقوف الجمهورية العربية المتحدة بكافة قواها مع العراق ضد اي تدخل اجنبي، والعمل على دعمها من كافة النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وارساء قواعد العلاقات بين البلدين فكان دور مصر بذلك دوراً جوهرياً لدعم ومساندة الثورة العراقية عام 1958 .

المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة :-

- دار الكتب والوثائق العراقية ، ملفات مجلس السيادة رقم 38 .
- دار الكتب والوثائق العراقية ، ملفات مجلس السيادة رقم 74 ,

الكتب العربية :-

- أحمد فوزي ، شخصيات وتوقيع ، بغداد ، 1989 .
- إسماعيل عارف ، أسرار ثورة 14 تموز وتأسيس الجمهورية في العراق ، دار الحياة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2012 .
- جعفر الحسيني ، ثورة في العراق (العراق 1958-1963) نقد تجربة الدولة العراقية في العهدين الملكي والجمهوري ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، 2013 .
- جعفر عباس حميدي ، التطورات السياسية في العراق 1941 – 1958 ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1975 .
- عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي ، العلاقات السياسية بين مصر والعراق 1951-1963 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2000 .
- عماد العبادي ، رفعت الحاج سري ونشاطه السياسي والعسكري في العراق 1918 – 1959 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2002.
- فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي 1946 – 1958 ، مطبعة الشعب ، بغداد ، 1963 ,
- فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت 2013 .
- فيصل حسون ، صحافة العراق ما بين عامي 1945 – 1970 ، بلا .
- كامل الجادرجي ، مذكراتي ، بيروت ، 1970 .
- ليث عبد الحسن الزبيدي ، ثورة 14 تموز 1958 في العراق ، مكتبة اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، بغداد ، 1981 .
- محمد حسين الزبيدي ، ثورة 14 تموز 1958 في العراق أسبابها ومقدماتها ومسيرتها وتنظيمات الضباط الأحرار ، دائرة الشئون الثقافية والنشر ، بغداد ، 1983 .
- محمد مهدي كبه ، مذكراتي في صميم الأحداث 1918 – 1958 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1965 .
- مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، 1974 .
- محمد حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة 14 تموز ، بغداد ، 1981 .
- مليح صالح شكر ، تاريخ الصحافة العراقية في العهدين الملكي والجمهوري 1932 – 1967 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2010 .
- محمد حسنين هيكل ، عبد الناصر والعالم ، دار النهار ، بيروت ، 1972 ,
- محمد حسنين هيكل ، سنوات الغليان حرب الثلاثين سنة 1967 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1988 .

الكتب المترجمة :-

- أرويل دان ، العراق في عهد قاسم ، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله ، دار أراسي للطباعة والنشر ومنشورات الجمل ، أربيل ، 2012 .

- جيرالد دي غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة سليم طه التكريتي ، دار اليقظة العربية ، بغداد 1990 .
- جورج كيرك ، السياسة العربية المعاصرة ، ترجمة عبد الواحد الأنبابي ، الدار القومية للنشر ، القاهرة .

الكتب الوثائقية :-

- مؤيد الونداوي ، وثائق ثورة تموز 1958 في ملفات الحكومة البريطانية ، الطبعة الأولى، المكتبة العالمية ، بغداد 1990 .
- وليد محمد سعيد الأعظمي ، ثورة 14 تموز وعبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1989 .

الموسوعات :-

- حميد المطبعي ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، الجزء (1-3) ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، 1996.
- عبد الوهاب الكيالي و كامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، بيروت .
- موسوعة أعلام العرب ، الجزء الأول ، بيت الحكمة ، بغداد ، 1998 .

رسائل ماجستير :-

- زينة حارث جرجيس ، رجب عبد المجيد ودوره السياسي في العراق حتى عام 1968 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1998 .

الصحف :-

- صحيفة الشعب العراقية
- صحيفة الأهرام المصرية
- صحيفة الزمان العراقية
- صحيفة الجمهورية العراقية
- صحيفة البلاد العراقية

اللقاءات :-

\- لقاء مع الدكتور حسين أمين بتاريخ 25 نيسان / إبريل 2009 – القاهرة .